﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾ [الأنبياء: 108]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

وحي الله تعالى لنبيِّه ﷺ سببُ الرَّحمة

بعد أن ذكر الرّحمة المُهداة، وهو رسول الله ﷺ برسالته، ناسبَ أن يذكر هُنا أنّ الوحي المنزّل عليه ﷺ كلّه دعوةٌ إلى توحيد الله وهذه المسألة هي جوهر الرّحمة كلّها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُوحَىٰٓ﴾: أصلُ (وحى): يَدُلُّ على إلقاءِ عِلْمٍ في إخْفاءٍ أو غيْرِهِ إلى غيرِكَ، والوَحْيُ: الإشارةُ السَّريعة، ولتضمُّن السُّرعة قيل: (أمرٌ وحْيٌ)؛ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرَّمز والتَّعريض، وقد يكون بصوتٍ مُجرَّدٍ عن التَّركيب، وبإشارةٍ ببعض الجوارح، وبالكتابة [1].

2) ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: أصلُ (أله): أصلٌ واحِدٌ، وهو التَّعَبُّدُ، فالإلهُ اللّه تعالَى، وسُمّيَ بذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبودٌ، ويُقالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إذا تَعَبَّدَ [2]، وقيل: هو من: أَلِهَ، أي: تحيَّر، وإنَّما قيل ذلك لأنَّ القُلوب تَأْلَهُ عند التَّفَكُّرِ في عَظَمَتِه: أي تَتَحيَّرُ [3]، و(إلَهٌ) حقُّه ألّا يُجمع، إذ لا معبود سواه، لكنَّ العرَب لاعتقادهم أنَّ هاهنا معبودات جمعوه، فقالوا: الآلهة [4]، والمُرادُ بالإله في الآية: المَعبودُ بِحَقّ، وهو اللّه سبحانه تعالى.

3) ﴿وَٰحِدٌۖ﴾: أصْلُ واحِد يَدُلُّ على الانفِرادِ [5]، والمراد به في الآية: الفَرد الَّذي لا ثاني له، أي: المُتَوَحِّدُ بالخَلْقِ، وهو اللّه تعالى [6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (وحي - وحي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أله).
(3) ابن عباد، المحيط في اللغة، والراغب، المفردات: (أله).
(4) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أله).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وحد).
(6) المراغي، تفسير المراغي: 13/ 87، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 116.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَبنى الإسلامِ قائمٌ على توحيدِ اللهِ ﷻ

قل أيُّها المبعوث رحمةً للعالمين - لهؤلاءِ المشركين من قومك ولغيرهم: إنَّما يوحي اللّهُ إليَّ أنَّما مَعبودُكم مَعبودٌ واحِدٌ لا شَريكَ له في العِبادةِ، فهل أنتم مُستَسلِمونَ لِتَوحيدِ اللّهِ، مُنقادونَ لِطاعتِه وعِبادتِه وحْدَه بعدَ هذا البيانِ؟ (1).

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة تصدير الآية بالأمر ﴿قُلْ﴾:

إعلان توحيد الله سبحانه

صُدّرت الجملة بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ للعناية بالمفعول الوارد بعده، ووجوب إعلانه وهو القول: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ الّتي تضمّنت قضيّة التّوحيد؛ وأن لا إله إلّا اللّه سبحانه، ولبيان أنَّ سبب الرّحمة هو الإسلام للّه تعالى، وأنّ ما يوحى إلى النبيِّ ﷺ من اللّه هو مكمن الرّحمة للعالمين، وأنّ أساس الرّحمة هو توحيد اللّه تعالى.

بلاغة أسلوب القصر في الآية وتعدُّده:

التّوحيد هو أصل الشّريعة

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي ما يوحى إليّ إلّا أنَّه لا إله لكم إلّا إلهٌ واحدٌ؛ لأنّه المقصود الأصليُّ من البعثة(2)، وصيغت الجملة في صيغة حصر الوحي إليه في مضمونها؛ لأنّ مضمونها هو أصل الشّريعة الأعظم، وكلّ ما تشتمل عليه الشّريعة متفرّعٌ عليه، فالدّعوة إليه هي مَقادة الاجتلابِ إلى الشّريعة كلّها(3) وقد ذهب جماعةٌ إلى أنّ في الآية حصرين بناءً على أنّ ﴿أَنَّمَآ﴾ المفتوحة تفيد ذلك كالمكسورة، والأوّلُ لقصر الصِّفة على الموصوف والثاني لقصر الموصوف على الصِّفة، فالثّاني قصر فيه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 441، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 350، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 388.

(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 17/ 77.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 171.

اللّه تعالى على الوحدانية، والأول قصر فيه الوحي على الوحدانية، والمعنى ما يوحى إليّ إلّا اختصاص اللّه تعالى بالوحدانية[1].

و﴿أَنَّمَآ﴾ بالفتح عدّها الزّمخشريّ والبيضاويّ من طريق الحصر؛ فقالا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ إنّما لقصر الحكم على شيءٍ، أو لقصر الشّيء على حكمٍ؛ نحو (إنَّما زيدٌ قائمٌ)؛ و(إنّما يقومُ زيدٌ)، وقد اجتمع الأمران في هذه الآية؛ لأنّ ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعله بمنزلة (إنّما يقومُ زيدٌ)، و﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ بمنزلة (إنّما زيدٌ قائمٌ)، وفائدة اجتماعهما الدّلالة على أنّ الوحي إلى الرّسول ﷺ مقصورٌ على استئثار اللّه بالوحدانية[2]، ولا شكّ في إفادتها التأكيد.

وقد توالى القصران في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ القصر الأوّل إضافيٌّ؛ أي ما يوحى إليَّ في شأن الإله إلّا أنَّ الإله إلهٌ واحدٌ، والقصر الثاني إضافيٌّ أيضًا؛ أي في شأن الإله من حيث الوحدانية، ولمّا كان القصر الإضافيُّ من شأنه ردُّ اعتقاد المخاطب بجملة القصر لزم اعتبار ردّ اعتقاد المشركين بالقصرين.

سِرُّ التّعبير بالوحي مضارعًا مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله:

التّوحيد أصل قضايا الوحي

عبّر بالوحي في قوله تعالى ﴿يُوحَىٰٓ﴾ لجلالة المسألة الّتي ذكرتها الآية؛ وهي قضيّة التّوحيد، وهي أصلُ كلّ قضايا الوحي، والتّعبير بالمضارع دلالةٌ على التّجدّد، فكلّ وحيٍ حتمًا يتضمّن وحدانية اللّه تعالى، ودلالة البناء للمفعول بيانٌ عظيمِ شأنِ ما يوحَى إلى الرّسول ﷺ ؛ وهو توحيد اللّه تعالى، وبيانٌ عظيم شأن الجهة الّتي يصدر منها هذا الوحي؛ وهو اللّه سبحانه.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 100، والشّنقيطي، دفع إيهام الاضطراب، ص: 156.
(2) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 169 - 170.

دلالة تعدّي فعل ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بـ (إلى) دون اللّام:

بيان أنّ التّوحيد ركـن الإيـمـان لعموم الأمّة

الأصل في (إلى) أنّها تكون لانتهاء الغاية؛ فقوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النّمل: 33]؛ أي منتهٍ إليكِ، جاء في المُقتضب: "وأمّا (إلى) فإنَّما هي للمنتهى"[1]، فقوله هنا: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: منتهى ما يوحى إليّ هو التّوحيد، لعظيم شأن التّوحيد، كونه جوهر الوحي والرّسالة، وهكذا فإنّ الأمّة كُلّها مُكلّفةٌ بفحوى هذا الإيحاء ومضمونه، أمّا اللّام فهي للاختصاص أو الملك والاستحقاق[2]، فلم يأت التّعبير باللّام لأنّ ذلك سيجعل الرّسول هو المختصّ بهذا المأمور، وليس الأمر كذلك؛ فالأمّة كلّها مأمورةٌ بالتّوحيد والعمل به في جميع أمور حياتهم.

سِرُّ قصر الوحي على الوحدانيّة دون غيرها:

الـوحـدانـيّـة هي الأصل الأصيل

في قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ قُصر الوحي على الوحدانية، فكيف ذلك وقد أوحي إليه ﷺ أمورٌ كثيرةٌ غير ذلك كالتكاليف والقصص، وأُجيبَ بوجهين: الأوّل أنَّ معنى قصره عليه أنَّه الأصل الأصيل وما عداه راجعٌ إليه أو غيرُ منظور إليه في جنبه، فهو قصرٌ ادِّعائيٌّ، والثاني أنَّه قصرُ قلبٍ بالنِّسبة إلى الشِّرك الصّادر من الكفّار[3].

دلالة كاف الخطاب في ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾:

الارتباط المباشر بين الله وعباده

قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي فغيره ليس بإله، ودلّت كاف الخطاب في قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾؛ على توجيه المخاطبين إلى إلهٍ واحدٍ هو وحدَهُ الَّذي يجيب دعاءكم، ويدفع ضرَّكُم، ويجلبُ لكم الخير، فهو وحدَهُ الَّذي يستحقّ منكم العبادة، فجعل ارتباطًا مباشرًا بينهم وبين الإله المعبود؛ فلا واسطة بينه وبينهم، ثمّ إنّ في ذلك تعريضًا بأولئك الَّذين اتّخذوا إلهًا معبودًا غير الله سبحانه.

(1) المُبرّد، المُقتضب: 4/ 139.
(2) سيبويه، الكتاب: 2/ 304.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 101.

سِرُّ تكرار لفظ ﴿إِلَٰهُ﴾:

تكرار ﴿إِلَٰهُ﴾ في قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾؛ للتأكيد على الألوهيّة، الَّتي تدلّ على استحقاق العبادة، فلا إله معبودٌ إلّا الله.

سرُّ وصف الإله بقوله ﴿وَٰحِدٞۖ﴾ دون أحد:

الفرق بين الواحد والأحد

لمّا ذكر الآلهة بيّن أنّه ﴿وَٰحِدٞۖ﴾ لا ثاني له، ولمّا استعمل لفظ الجلالة قال ﴿أَحَدٞ ۝١﴾ [الاخلاص: 1] في قوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الاخلاص: 1]، والفرق بين الواحد والأحد أنّ الأحد بُنِيَ لنفي ما يُذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد، والواحد اسمٌ بُنِيَ لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحدٌ من النّاس ولا تقول: جاءني أحدٌ، فالواحد منفردٌ بالذّات في عدم المثل والنّظير، والأحد منفردٌ بالمعنى، وقيل: الواحد هو الَّذي لا يتجزَّأ ولا يُثنَّى ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له، ولا مثل، ولا يَجمعُ هذين الوصفين إلّا لله تعالى[1].

دلالة الفاء في قوله ﴿فَهَلۡ﴾:

إثبات الحُجّة على المُخاطبين

الفاء للتَّفريع على ما قبلها[2]، والدَّلالة على أنَّ ما قبلها موجبٌ لما بعدها[3]، فيكون المعنى: (فإذا تبيَّن لكم صدق الرِّسالة، ووحدانيَّة الله تعالى، فهل أنتم مسلمون)؛ أي: داخلون في الإسلام إذ لم يبقَ بعدُ شائبةُ شبهةٍ في حَقّيتهِ وفي بطلان ما أنتم فيه من الشِّرك[4].

ودلَّ التَّفريع بهذه الفاء على ظهور براهين الحقِّ، وتحقُّق أدلَّة التَّوحيد، بما لا يترك حجَّةً لأحدٍ بالتخلُّف عن الإسلام، والجحود بالآيات النَّيِّرات.

دلالة الاستفهام في ﴿فَهَلۡ﴾:

العلاقة بين المُخاطبين والإسلام

الاستفهام هنا إمّا حقيقيٌّ؛ أي: فهل تُسلمون بعد هذا البيان؟،

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: 9/ 269.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 172.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 101.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/ 224.

وهو مستعملٌ أيضًا في معنًى كنائيٍّ؛ هو التّحريضُ على نبذ الإشراك، وعلى الدُّخول في دعوة الإسلام[1].

وإمّا لطلب الإقرار: لأنّ الرّبّ تعالى لا يستفهم خلْقَهُ عن شيء؛ وإنّما يستفهمهم ليقرّرهم ويذكّرهم أنّهم قد علموا حقّ ذلك الشّيء[2].

وإمّا للاستبطاء: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي منقادون لما يوحى إليّ من التّوحيد، وهو استفهامٌ يتضمَّن الأمر بالانقياد[3].

دلالة التّعبير بالضّمير ﴿أَنتُم﴾:

ضمير ﴿أَنتُم﴾ للمخاطب الجمع المذكّر، أفاد تخصيصهم بالخطاب، فطلب منهم الإقرار بالإسلام، والتّعجيل بالإجابة لما رآه منهم من الاستبطاء بالإيمان بعد ظهور الحجج.

الغرض من التّعبير بالخبر اسمًا ﴿مُّسْلِمُونَ﴾:

استبطاء تأخّر إسلامهم

في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ عبّر باسم الفاعل الدّالِّ على الثّبات دون الفعل الدّال على التّغيّر والتّجدّد؛ فلم يقل: (فهل تسلمون) أو (فهل أسلمتم)؛ لإفادة أنَّ المطلوب منهم إسلامٌ ثابتٌ؛ وكأنّ فيه تعريضًا بهم بأنَّهم في ريبٍ يتردَّدون[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإله والرّبّ:

الـــرّب للخلق والمـلـك والإلـه للتَّعبّد

الرَّبُّ معناه: المُدبِّر المُربّي الخالق المالك المصوِّر الرّزّاق، والإله معناه: المعبود، فهي جميعًا تدلُّ على أوصاف الله سبحانه وتعالى، لكن اسم (الرّبِّ) يدلُّ على وصف المُلك والخَلق والقدرة، واسم (اللّه): يدلّ على التّعبّد.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 172.
(2) الزّركشيّ، البرهان: 2/ 327.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 101.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 172.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»